Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

Sustainable Development and Its Role in Educational and Health Institutions in the Ayyubid and Mamluk eras

Nashwan Mohammed Abdullah
Department of History \ College of Arts\
University of Mosul\ Mosul-Iraq

Saja Mashal Rashid
Department of History \ College of Arts\
University of Mosul\ Mosul-Iraq

Article Information

Article History:
Received Nov16، 2025
Revised Jan 01.2025
Accepted Jan 1، 2026
Available Online Feb 1, 2026

Keywords:
Development،
Sustainable،
Ayyubid،
Mamluk،
Institutions

Correspondence:
Nashwan Mohammed Abdullah
nashwan.m.a@uomosul.edu.iq

Abstract

Sustainable development is a vital concept in the modern era، with roots extending back to earlier periods. This research focuses on the role of sustainable development in educational and health institutions during the Ayyubid period (564-648 AH / 1169-1250 AD) and the Mamluk period (648-923 AH / 1250-1517 AD). We will focus on the initiatives and policies that promoted sustainability in these sectors and evaluate their impact on society. This research aims to extract lessons learned from historical experiences for application in the present، employing a historical-analytical approach. It also seeks to establish a balance between an economic system that avoids the depletion of natural resources and one that prioritizes environmental security. Given the inherent human dimension of sustainable development، which is intertwined with the environmental dimension، the responsibility for preserving and caring for natural resources has become paramount. Educational and health institutions emerged as fundamental pillars of society during the Ayyubid and Mamluk eras. Schools evolved from simple study circles into comprehensive educational institutions offering higher education in various fields، while hospitals (bimaristans) developed into comprehensive medical facilities providing care and treatment to all members of society. These institutions played a vital role in providing essential services and community welfare، and their remarkable resilience and prosperity over centuries make them ideal case studies for understanding the manifestations of sustainable development in the past and its relevance to the present. Therefore، the research is divided into two sections: the first examines educational and health institutions in the Ayyubid era، and the second examines educational and health institutions in the Mamluk era.

DOI: _____ ، ©Authors، 2023، College of Arts، University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0).

التنمية المستدامة ودورها في المؤسسات التعليمية والصحية في العصرين الأيوبي والمملوكي

نشوان محمد عبدالله * سجى مشعل رشيد **

مستخلص:

ظهر مفهوم التنمية في الأدبيات التنموية الدولية في أواسط الثمانينات من القرن الماضي تحت تأثير الاهتمامات الجديدة بالحفاظ على البيئة ونتيجة للاهتمامات التي أثارتها دراسات، وتقارير نادي روما الشهيرة في السبعينات من القرن الماضي حول ضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية القابلة للنضوب، وعلى البيئة والتوازنات الجوهرية في الأنظمة البيئة (Ecosy stems)، وقد شاع استعمال المفهوم تحت تأثير الأحداث المسيئة للبيئة وارتفاع درجة التلوث عالميًّا.

وتؤكد اللجنة العالمية للتنمية والبيئة أثرَ السكان في عملية التنمية المستدامة، وإن عدّ السكان رقمًا فحسب يعني تجاهل قضية مهمَّة هي أن الناس أنفسهم مورد إبداعي، وهذه القدرة على الإبداع ذخر ومصدر قوة على المجتمعات أن تحافظ عليها، ومن أجل دعم هذا المصدر يجب تحسين الحياة المادية للإنسان عبر تغذية أفضل، ورعاية صحية أفضل، وتعليم يساعدهم على أن يصبحوا أكثر قدرة وإبداعًا ومهارة وانتاجًا، وأفضل استعدادًا على معالجة المشكلات، ولا يكون ذلك إلَّا بالانخراط في عملية التنمية المستدامة والمساهمة فيها.

وعليه فإن التنمية المستدامة لا تتحقق إلَّا بتنمية السكان وتنمية الموارد البشرية التي تُعدُّ من العناصر الأساسية للوصول إلى التنمية المستدامة؛، وعليه جاءت العناية بدراسة التنمية المستدامة ودورها في المؤسسات التعليمية في العصرين الأيوبي والمملوكي.

أسس صلاح الدين الأيوبي الدولة الأيوبية سنة (570هـ / 1174م) في عهد الخليفة الفاطمي العاضد بالله، منهيًا بذلك وجود الدولة الفاطمية في مصر، وصار الدعاء في منابرها للخليفة العباسي المستضيء (٥٦٦-٥٧٦هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠م)، وما إن استتب له الأمر حتى تطلع إلى بلاد الشام، وكانت الدولة الزنكية تحت حكم نور الدين محمود بن زنكي الملقب بالشهيد، وبدأ بينهما الجفاء حتى توفي الأخير سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٤م)؛ فأعلن صلاح الدين استقلاله بمصر، ثم أستولى على بلاد الشام التي غدت في عهده مركزًا مهمًّا للحياة السياسية والحضارية؛ فقد ظهرت العناية بالمدارس وبناء المراكز الصحية، والعمل على نشر المعرفة والعلم، ولم يقتصر الأمر على الرجال، فقد كان للمرأة مكانة بارزة في إغناء الحركة العلمية والفكرية والأدبية في ذلك العصر.

إن دراسة التنمية المستدامة في المؤسسات التعليمية والصحية في دولتي المماليك البحرية والجركسية الذين امتد حكمهم من سنة (٦٤٨-923هـ / ١٢٥٠-1517)، وهو ما اتسم به هذا العصر من تحديات بارزة وخصائص مهمة من حيث جهود العلماء المسلمين من المصريين منهم أو الشاميين أم الوافدين إلى بلاد الشام في نشر العلم والثقافة بالتعليم الذي شمل المدارس والبيمارستانات على حدٍّ سواء.

وتوزعت الدراسة على مبحثين تناول الأول: التنمية المستدامة ودورها في الحياة العلمية والصحية في العصر الأيوبي (٥٦٩ - ٦٥٨هـ/ ١١٧٣ - ١٢٦٠م) من حيث أصل الأيوبيين ونشأتهم، ونشأة المدارس والدوافع لإنشائها، ثم نشاط المدارس في دمشق وحلب ومصر، ثم دوافع إنشاء المدارس، ثم المدارس في دمشق وحلب ومصر ،ثم تناول الأحوال الصحية في عصر الدولة الأيوبية، وأخيرًا دور البيمارستانات في الدولة الأيوبية.

وأما المحور الثاني فتناول التنمية المستدامة ودورها في الحياة العلمية والصحية في العصر المملوكي (648-٩٢٣هـ / 1250 - ١٥١٧م) من حيث التعريف بالمماليك، ثم المدارس في عصر المماليك، وأخيرًا البيمارستانات في عصرهم أيضًا.

ولقد اعتمد إنجاز هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع العربية والرسائل الجامعية والدوريات ومن هذه الكتب كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لبهاء الدين بن شداد (ت: ٦٣٢هـ / ١٢٣٢م)، وكتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان السبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)، وكتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) لابن واصل (ت: ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) ، وكذلك كتاب (المواعظ والاعتبار)، و(السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي (ت: ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) إلى جانب العديد من الكتب والرسائل الجامعية والدوريات التي أغنت البحث بالكثير من المعلومات.

الكلمات المفتاحية : التنمية، المستدامة، الأيوبيون، المماليك، المؤسسات .

المبحث الأول: التنمية المستدامة ودورها في الحياة العلمية والصحية في العصر الأيوبي

أولًا: أصل الأيوبيين ونشأة دولتهم

تنسب الاسرة الأيوبية إلى الأكراد الروادي [1]، وهم فرع من الهذبانية، وهي من أكبر القبائل الكردية[2]، وهم من قرية أجد نقان من بلدة دوين[3]، وأخذت هذه الأسرة تسميتها من جدهم أيوب بن شاذي الملقب بوالد الملوك[4]، وربما يكون الدافع في هذا الادعاء هو رغبة بعضهم في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة في بلدان عربية لم يسبق أن سكنها الكرد، ولا سيما مصر واليمن والحجاز.[5]

ويظهر من ذلك بأن الأيوبيين ليسوا عربًا بالدم والجنس والأصل، لكنهم عربًا باللغة والثقافة والمشاعر، وفوق ذلك كله فإنهم مسلمون، أسهموا في صنع أحداث التاريخ الإسلامي على مدى أكثر من ثلاثة أرباع القرن التي تعد من أهم مراحل تاريخ الحروب الصليبية[6]، وتعود بداية ظهور الأسرة الأيوبية من مفارقتهم لبلدهم دوين[7]؛ إذ أخذ شاذي ولديه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه[8]، وخرج بهما إلى بغداد التي كانت آنذاك تحت سيطرة السلاجقة، وهناك التحق بصديق له وهو مجاهد الدين بهروز[9] الذي عينه حافظًا على قلعة تكريت[10]، وبقي في منصبه هذا حتى مماته فيها، ثم تولاها أبناء نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه من بعده [11]

وكان نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه يسعيان لبلوغ منزلة رفيعة لدى الأمراء والسلاطين ففيهما الشجاعة والإقدام والدهاء والسياسة والإخلاص والمثابرة[12]، وبقي نجم الدين ايوب بقلعة تكريت مع أخيه بعد ذلك زمنًا حتى إذا ما ضاقت بهما الحياة غادراها إلى الموصل.[13]

إن صلاح الدين[14] هو الذي أسس الدولة الأيوبية، وحافظ على الشام ومصر ووحدهما، وتمكن من أن يجعل من هذه الوحدة نقطة الانطلاق في تحرير الأراضي الإسلامية، وتحطيم الصليبين ومن بعدهم المغول.[15]

وبعد وفاة صلاح الدين سنه (٥٨٩هـ / 1193م) شهدت البلاد نزاعات من أجل السيطرة وتوسيع النفوذ، لكن الشام ومصر بقيتا مرتبطتين سياسيًّا وإداريًّا وثقافيًّا مع بعضهما حتى مجيء الغزو المغولي من الشرق (٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، وظهور المماليك في مصر سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م).[16]

وللحديث عن التنمية المستدامة في المؤسسات التعليمية والصحية في العصر الأيوبي سوف نقوم بالحديث عن المدارس والبيمارستانات كنماذج للتنمية المستدامة في العصر الأيوبي:

ثانيًا: المؤسسات التعليمية ودوره في التنمية المستدامة

١- نشأة المدارس:

يُعدُّ التعليم المدرسي من بين أهم عوامل تحقيق التنمية المستدامة؛ لما يسهم به في دور فعال في تنمية المؤهلات اللزمة للقيام بالمهام والواجبات المختلفة على أعلى مستوى من أداء، وتلك غاية سهلة من غايات التنمية المستدامة المتعلقة بتنمية الموارد البشرية، وظهرت

1() ابن الأثير، أبو الحسن بن أبي عبد الكريم، الكامل في التاريخ، تحقيق: جوهانس تورنبرغ ، دار صادر، (بيروت : ١٩٦٦)، ج ١١، ص٣٤١ ؛ سيد الأهل، عبد العزيز، أيام صلاح الدين ، المجلس الاعلى للشؤون. الإسلامية (القاهرة : ١٩٦٤)، ص ٢٨.

2() ابن الأثير الكامل، ج١، ص ٣٤١ .

3() دوين، وهي بلدة كرديه قرب خلاط، وسكنوا الران في آخر حدود اذربيجان قرب تفليس. ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبد الله معجم البلدان، دار صادر، (بيروت : ١٩٧٧م)، ج ٢/ص ٤٩١.

4() ابن شداد، بهاء الدين ابو المحاسن يوسف، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق ، جمال الدين الشيال ، ط١، المؤسسة المصرية العامة ، (القاهرة ،١٩٧٢م) ،ج ٧، ص ٦.

5() ابن واصل ، جمال الدين بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (القاهرة : ١٩٥٣)، ج١، ص٣.

6() الحروب الصليبية، يقصد بحروب الفرنجة " وهي عبارة عن حروب وحملات قام بها مسيحيو أوربا على مسلمين الشرق من اجل السيطرة على الأماكن المقدسة في بلاد الشام، ولطرد المسلمين من الأندلس، وقد اتخذوا من الصليب علامه لهم . طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس (بيروت : ٢٠١١)، ص ١٣.

7() أبن واصل، مفرج الكروب، ج ١ ، ص ٧.

8() هو شيركوه بن شاذي بن مروان، ولد في بلدة دوين، إحدى قرى أذربيجان ونشأ بتكريت ثم رحل الى الموصل، ودخل في خدمة حاكمها عماد الدين زنكي، وبعد وفاة عماد الدين خدم ابنه نور الدين وأصبح من كبار امرائه، توفي سنة (564هـ / 1168م). للمزيد ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، (بيروت : ٢٠٠٠)، 126/16.

9() وهو من أهالي دوين انتقل الى بغداد، وكان من شحنة بغداد، ورئيس الشرطة توفي سنة (٥٤٠هـ / ٤٥١١ م). المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، كتاب السلوك ودول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط2، (القاهرة : ١٩٥٦م)، ج١،ص٤٠.

10() نوري، دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر وبلاد الشام، مطبعة الإرشاد، (بغداد، : ١٩٧٦م)، ٦٥.

11() الحنبلي ، عز الدين احمد بن ابراهيم ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، دار الحدية للطباعة ، (بغداد ١٩٧٩م) ص ٤٩.

12() سلام ، محمد زغلول، الأدب في عصر صلاح الدين الأيوبي ط ١، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية ، ١٩٥٩م) ، ص ١٩-٢٠ .

13() ابن الأثير الكامل ، ج ١١/ ٣٤١ ؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر -الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، (القاهرة : ١٩٩٨م)، ٣ / ١١٣.

14() حمادة ، محمد ماهر ، الوثائق السياسية والإدارية ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٧٧م) ، ج ٤ /٦٩.

15() ابن الأثير، الكامل : 334/11.

16() خلف، غانم عبد الله ، الحياة العلمية في بلاد الشام على عهد الأيوبين، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، (جامعة الموصل، كلية الاداب،١٩٩٥)،١٤.

المدارس في العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي[17]، وأول من قام ببنائها هم أهل ينسابور[18]؛ فقد بنى فيها نصر بن سبكتكين مدرسة، وبنى بها أخوة السلطان محمود بن سبكتكين (ت: ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) مدرسة أخرى، وبنيت فيها أيضًا المدرسة السعدية[19]، إلَّا أن المدرسة بنظامها المتكامل لم تظهر دفعة واحدة إلَّا بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بل إنها مرت بمراحل قبل وصولها إلى هذا النظام المتكامل[20]؛ لذا يمكن القول إن المسجد كان أول مؤسسة علمية في الإسلام إلى أن ظهرت المدارس التي أحدثت انقلاب كبير، وغيرت من أسلوب التعليم ونظامه.[21]

وأما أول مدرسة ظهرت بنظامها المتكامل، فكانت المدرسة النظامية ببغداد، وتنسب إلى الوزير نظام الملك[22] أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي، وزير ملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق، أنشأها في بغداد سنة (٤٥٧هـ / ١٠٦٤م)، وأتمها سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م).[23]

وأما عن تاريخ نشأة المدارس في بلاد الشام فيعود إلى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي عندما انشأ قاضي طرابلس وحاكمها الحسن بن عمار[24] (ت : ٤٦٤هـ / ١٠٧١م) دار الحكمة[25]، وهي أشبه بمدرسة جامعية، على نحو دار الحكمة التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[26] بمصر (٣٨٦ ـ٤١١هـ / ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) في حدود سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، وفي دمشق أسس شجاع الدولة صادر بن عبد الله المدرسة الصادرية على المذهب الحنفي في سنه (٣٩١ هـ/ ١٠٠٠م)، ومن ذلك يتبين أن دمشق سبقت بغداد من حيث تأسيس المدارس، إلَّا أنها لم تسبقها من حيث التنظيم الذي أُقر فيها فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس والطلبة والمعلمين.[27]

والغاية من إنشاء المدارس كما ذكر ابن الحاج أن يأتيها غالبًا من قصد العلم والاستغناء[28]؛ فليس كل من دخل الجامع أو المسجد يريد أن يتعلم بالضرورة، ولكن كل من دخل المدرسة يريد التعلم بالضرورة.[29]

ويبدو أن نور الدين محمود هو الذي أحيا المشروع الذي بدأه نظام الملك في إنشاء المدارس النظامية، واقتدوا به لأنه كان رجلًا محبًّا للعلم؛ فأكثر من بناء المدارس، أو أسهم في بنائها في بلاد الشام من دون تعصب لأي مذهب من المذاهب الأربعة[30] فشهدت الشام في ذلك العهد نهضة مدرسية كان لها انعكاساتها العلمية والفكرية على المجتمع بعامة، ولعلَّ التحديات التي تعرضت لها الأمة الإسلامية في مواجهة الغرب، والمتمثلة بالحروب الصليبية التي ألقت على كاهل العلماء عبء النهوض بالأمة من حال الوهن وإزالة الأفكار المريبة والهدامة بالأمة التي طالت البينة الداخلية للمجتمع؛ فأنفق العلماء على بناء المدارس في دمشق وحلب ومصر وغيرها.[31]

2- دوافع إنشاء المدارس

---

[17] () المقريزي ، السلوك ، ١/٠٩٠

[18] () نيسابور: مدينة عظيمة ببلاد فارس يقال لها ابرانشهر وهي ما بين جيحون إلى القادسية ومن الري إلى نيسابور مائة دستون فرسخاً ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٣٣١ - ٣٣٢.

[19] () المقريزي ، الخطط ، ٣ /٤٣٦.

[20] () سلام ، المدارس الإسلامية، ص ٢٢.

[21] () المقريزي ، الخطط ، 243/1.

[22] () نظام الملك: أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الملقب بـ (نظام الملك)، ولد سنة (408هـ / 1017م) في نوقان إحدى قرى الراذكان التابعة لولاية طوس، عمل وزيراً للسلطان الب أرسلان ولابنه من بعده ملكشاه وظل في هذا المنصب حتى قتل سنة (485هـ / 1092م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت : 1994م)، 1/395-396.

[23] () المقريزي، الخطط ٣/ ٤٣٦ – 437.

[24] () الحسن بن عمار: أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار بن الحسين بن قندس بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي، قاضي طرابلس، الملقب بأمين الدولة، استقل بطرابلس عن الشام سنة (462هـ / 1069م)ـ توفي سنة (464هـ / 1071م. للمزيد ينظر: ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، تدقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الامريكية، (بيروت : 1936م)، 77/8

[25] () دار الحكمة: انشاها الخليفة الحاكم بأمر الله (386-411هـ / 996-1020م) بجوار القصر، وتعرف أيضاً بـ (دار العلم) خلف خان مسرور، وكان الغرض من انشاها هو نشر تعاليم المذهب الإسماعيلي، إذ كان يجلس فيها داعي الشيعة، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم، وجعل الحاكم لها جزءاً من أوقاته التي وقفها على الجامع الازهر وجامع المقس وجامع راشدة، ثم ابطل الأفضل بن أمير جيوش هذه الدار لاجتماع الناس فيها والخوض في المذهب خوفاً من الاجتماع على المذهب النزاري، ثم اعادها لأمر بواسطة خدام القصر بشرط أن يكون متوليًّا رجلاً ديناً والداعي هو الناظر فيها. القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821هـ / 1418م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، علق عليه: محمد حين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٩٨٧)، 414/3.

[26] () هو منصور بن العزيز نزار بن المعز محمد بن المنصور بن إسماعيل محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي، ويكنى بابن علي ولقب بالحاكم بأمر الله، عهد بالخلافة سنة (386هـ / 996م) وتوفي سنة (411هـ / 1020م)، للمزيد ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤)، 174/15.

[27] () حسن شميساتي ، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديد، (بيروت : ١٩٧٣م)، ص١٣-١٩.

[28] () ابن الحاج ، ابو عبد الله محمد سعد المدخل، دار الفكر، (بيروت: د.ت)، ٢/ ١٠٢.

[29] () محمد ، منى محمود، أثر الحضارة السلجوقية في دول العالم الإسلامي على الحضارتين الايوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ١٥ /١٣٠.

[30] () سلام ، الآداب العهد الايوبي، ٥٤.

[31] () سلطان، سلطان جبر، جهود العلماء والمسلين في مؤسسات المجتمع المدني في عصر الحروب الصليبية ، مجلة آداب الرافدين، العدد (٤٠) كلية الآداب، جامعة الموصل : ٢٠٠٥م)، ٩٥.

كان للسلاطين الأيوبيين عدة دوافع لأنشاء المدارس منها:

1- الدافع السياسي، فعندما أسقط الأيوبيون الدولة الفاطمية سعوا إلى سيادة المذهب السني، وتوحيد أصحابه في جبهة واحدة، فاستفادوا من التعليم لتحقيق هذا الهدف، وأيضًا كما هدفوا إلى إعداد جيل قوي متسلح بالعلم والإيمان لمحاربة العدو الصليبي الذي اقتطع أجزاءً واسعة من بلاد الشام وأسس ممالك اتخذت من بيت المقدس والأماكن المقدسة والدفاع عنها غطاء لذلك الاحتلال.[32]

2- الدافع الإداري، وذلك لتلبية احتياجات الدولة من الموظفين المخلصين لسياستها ومنهجها؛ فقد كانت مراكز التعليم آنذاك موجهة لخدمة الدولة ومصالحها؛ إذ فرض عليها نوع خاص من المعرفة يهدف إلى إعداد جيل قبول سلطة الدولة وقوانينها، لذلك كانت مراكز التعليم روافد مهمة للدولة تمدها بقوى فنية مؤهلة، وقد تمكنت الدولة الأيوبية بتلك السياسة إعداد الأفراد المؤهلين الذين تحملوا أعباء إدارة الدولة الجديدة[33]، وهنا تتجلى التنمية المستدامة في إعداد كوادر عالية في الأداء والعمل.

3- الدافع العلمي؛ فقد عرف السلاطين وأمراء بني أيوب بميلهم إلى العلم؛ إذ اشتغل معظمهم بفاعلية في المجال العلمي وأسهموا فيه، حتى انه بلغ من بينهم أعلام في ميادين علمية متنوعة، هذا إلى جانب رعايتهم الحركة العلمية بمختلف جوانها بعظيم عنايتهم، فقد كانوا يحرصون على ملازمة العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء[34]، وهنا أيضًا تتجلى التنمية المستدامة في إعداد أفراد يمتلكون القدرة والكفاءة على التأثير الاجتماعي الفعال والإيجابي.

3- أهم المدارس :

أ- المدارس في دمشق

حظيت دمشق بأنشاء عدد كبير من المدارس في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، وذلك بسب استقرار الوضع السياسي والازدهار الاقتصادي، وحظيت به مدينة دمشق في العهد الأيوبي؛ إذ كانت مركز الأيوبيين السياسي الأمر الذي جعلها مقرًّا لأرباب الحكم، وموطناً للعلماء والفقهاء ومنزلًا للأغنياء والتجار، وقد شاركت جماعة منهم في إنشاء عدد كبير من المدارس في دمشق[35]، حتى بلغ عدد المدارس نحو تسعين مدرسة[36]، ولكثرة المدارس فيها سنذكر أبرزها في حكم الناصر صلاح الدين الأيوبي بالإشارة إلى اسم المدرسة وسنة إنشائها إن وجد والواقف والموقوف عليها كالآتي:

*** لمدرسة الخاتونية الجوانية**

أنشأت سنة (٥٧٣هـ /١١٧٧م) على يد خاتون بنت معين الدين انس [37]زوجة السلطان نور الدين محمود زنكي، وبعد وفاته تزوجت من صلاح الدين الأيوبي، وتوفيت بدمشق سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، ودفنت بسفح قاسيون ولم تنجب[38]، وكانت المدرسة بمكان يسمى حجر الذهب موضع البيمارستان النوري، وقريبة من المدرسة الوجيهية التي برأس باب البريد[39]، وجعلها أصحابها على أصحاب المذهب الحنفي، ولم تحدد المصادر الموقوف عليها ولكنها أشارت إلى أن وقفها[40] يدرُّ أموالًا وفيرة، وبناءً على ذلك فقد تولى التدريس بها أصحاب المكانة العلمية في ذلك الوقت من بينهم عز الدين السنجاري[41]، ومن بعده ولده القاضي كمال الدين عبد اللطيف محمد، الذي استمر في التدريس فيها حتى سنة (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م).[42]

*** المدرسة العصرونية:[43]**

---

[32]() عثمان ، محمد عبد الستار المدينة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة، (الكويت : 1987م)، ٢٤٢.

[33]() المصري ، جهاد، التعليم في بلاد الشام في العهد الأيوبي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة ال البيت (الأردن : ١٩٩٩)، ٥١.

[34]() المصري، التعليم في بلاد الشام، ٥٢-53.

[35]() المصري، التعليم في بلاد الشام، ٨٩.

[36]() بني عبد الرحمن، خالد، ادارة بلاد الشام في العصر الايوبي رسالة دكتوراه منشورة، الجامعة الأردنية (عمان : 1997م)، ٢٣٨-٢٣٩.

[37]() الأمير معين الدين انر احد مماليك طختكين ، كان اميراً على دمشق نيابة عن طختكين وكان صاحب شجاعة محباً للعلم، توفي سنة ٥٥٤هـ/ ١٩٤٩م ؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة ، تاريخ دمشق ،تحقيق : عمرو بن غرامه الهروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق : ١٩٩٥م)، ٥٢/ ٤٥ .

[38]() ابن كثير، اسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي ، (د.ت) ، ١٣/٠٤٥

[39]() بدران عبد القادر، منادمه الأطلال و سامرة الخيال، المجمع العربي للتأليف والدراسات والترجمة ، ط ٢ (دمشق - ١٩٨٦م) ص ١٧.

[40]() الوقف لغة خلاف الجلوس، ويقال وقف بالمكان وقفاً ووقوفاً فهو واقف للمزيد ينظر : ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، (بيروت : ١٩٨٤م)، ٩/ ٣٦١.

[41]() وهو القاضي عز الدين محمد بن ابي الكرم السنجاري، ابن العجمي، أحمد بن ابراهيم بن محمد، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، (حلب : ١٩٩٦م)، ١/ ٣٦٥.

[42]() النعيمي الدارس ١٠ /٣٩٢.

[43]() بدران، منادمه الاخلال - ص ٣.

أُنشئت سنة (٥٧٨هـ /١١٨٢م)، وواقف المدرسة قاضي القضاة شرف الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد بن هبة الله المطهر من أبي عصرون بن أبي اليسر التميمي الموصلي الدمشقي، والموقوف عليهم طلاب العلم من الشافعية، وكذلك والإمام، والقيم، المؤذن والبواب، وأما عن موقع المدرسة فيقع داخل باب الفرج وباب النصر إلى الشرق من القلعة غرب الجامع الأموي بقرب حجر الذهب وإليها تنسب سوق العصرونية.[44]

*** المدرسة الشامية البرانية:**

أوقفتها ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبي وابنة نجم الدين أيوب، قبيل سنة ٥٨٧هـ ١١٩١م [45]وقد عرفت بالحسامية نسبة لواقفها الأمير حسام الدين محمد بن لاجين الذي دفن بها سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١[46]، وتقع هذه المدرسة بمحلة العوينة بظاهر دمشق، وكانت مشهورة بالعقبية الكبرى[47]، واعتمدت في بنائها على شبل الدولة الحسامية[48]، وكان وقفها يقدر بثلاثمائة فدان فضلًا عن أشياء أخرى لم تحددها المصادر، وكان شرط واقفها أن لا يجمع المدرس معها غيرها من المدارس[49]، وأوقفت تلك المدرسة على أصحاب المذهب الشافعي، وقد تولى تدريسها عدد من علماء الشافعية أمثال قاضي القضاة الشافعي، والقاضي نجم الدين المقدسي، وكذلك القاضي شمس الدين الشيرازي.[50]

*** المدرسة الشامية الجوانية:**

أوقفتها أيضًا ست الشام بنت نجم الدين أيوب وكانت هذه المدرسة دارًا تسكن بها[51]، ومن الواقع أنها أنشئت بعد الشامية البرانية بعد سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٤م)، وتقع هذه المدرسة بجوار المارستان النوري[52]، بدمشق وكانت وقفًا على أصحاب المذهب الشافعي [53]، وبطبيعة الحال فإن وقفها كان عظيمًا؛ إذ أوقفت عليها أراضي واسعة بظاهر دمشق لم تحدد، وكان من عظم دخل هذه المدرسة أن وقفيتها لم تنص فقط على الشروط الواجب توافرها في المدارس التي منها أن يكون شافعيًّا جامعًا لخصال الخير، بل نصَّت أيضًا على تخصيص أموال من دخلها كراتب للإمام الذي يصلي بها وعلى مؤذنها، وعلى خادمها وعلى فرشها ومصابيحها والآلات الموجودة بها وغير ذلك.[54]

ب- المدارس في مصر ، ومن أهمها:

*** المدرسة الناصرية:**

أنشأها صلاح الدين بن أيوب بجوار الجامع العتيق سنة (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) عندما كان وزيرًا للعاضد، ومن العلماء الذين درسوا بها عيسى بن الصاحب برهان الدين السنجاري (ت: ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)[55]، كما درس بها الفقه الشافعي شمس الدين محمد بن المرحل، وقطب الدين محمد الأنصاري وغيرهم[56]، وقد تصدر لتدريس الفقه الحنفي شمس الدين أحمد بن إبراهيم السروجي ومغلطاي بن قليج البكجري وغيرهما[57]، وأما الفقه المالكي فقد درسه ركن الدين محمد بن القوبع وغيره، علمًا أنه درس في هذه المدرسة فيما بعد المذهب الحنفي والمالكي.

*** المدرسة الصلاحية:**

---

[44]() النعيمي، الدارس، 302/1.

[45]() النعيمي، الدارس، 1/ ٢٠٩.

[46]() النعيمي، الدارس، ١/ ٢١٠ ، علي، محمد كرد، خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، (دمشق : ١٩٨٣م)/ 79/6.

[47]() النعيمي الدارس، 209/1.

[48]() هو كافور الطواشي خادم الامير حسام الدين بن لاجين، كان من المقبلين على العلم، حيث كان حنفي المذهب، وتلقى العلم على يد عدد من العلماء كالكندي، توفي سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦م، للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 232-240.

[49]() النعيمي: الدارس، ١ /٢٠٩ ؛ الطائي، سجى مشعل رشيد، النساء الأيوبيات ودورهن الحضاري في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب: ٢٠١٠، ص64.

[50]() النعيمي، الدارس، 209/1.

[51]() النعيمي، الدارس، 1/ ٠٢٢٧

[52]() بناه السلطان نور الدين محمود زنكي بدمشق وكانت مجموع نفقته كل يوم ٨٨ عثمانيًا. محمد كرد علي، محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، المكتبة النوري، دمشق سوريا - ١٩٨٣م)، 2/ 105.

[53]() بدران، منادمه الاطلال، ١٠٧.

[54]() النعيمي، الدارس، ١/ 227.

[55]() نوري، سياسة، ص٤٣٤.

[56]() ابن قاضي شهبة، طبقات، ص٢٤٨.

[57]() المقريزي، الخطط، ٢/ ٣٨٦ .

بناها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة (٥٧٢هـ /١١٧٦م) بجوار قبة الأمام الشافعي[58]، وتسمى تاج المدارس، وهي من المدارس العظيمة وقد جعل صلاح الدين النظر فيها إلى الشيخ نجم الدين الجنوشاني، ورتب بها درسًا للفقه الشافعي وجعل فيما مدرسًا ومعيدين وعددًا من الطلبة، وأوقف عليها حمامات وفرنًا وحوانيت وغيرها[59]، وفي سنة (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) تولى تدريسها قاضي القضاة تقي الدين محمد بن رزين الحموي، وبعد وفاته تولى تدريسها الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد، ثم من بعده الصاحب برهان الدين السنجاري .[60]

ولم تقتصر المدارس فقط على الرجال، وإنما توسيع فرص توظيف النساء بما يتجاوز حدود العمل الذي يتطلب مهارات، واستدمت المنافع الاجتماعية والاقتصادية من وراء تعليم المرأة؛ فكانت مدارس النساء الأيوبيات شاهدًا على ذلك العصر؛ إذ اوقفن عليها أوقافًا لا حصر لها، وكنَّ ينشئن المدارس للصبيان لتعلم الحديث الشريف والمذاهب الفقهية .[61]

ثالثًا: البيمارستانات ودورها في التنمية المستدامة في الدولة الأيوبية

يسهم النشاط الصحي في تعزيز مسارات التنمية المستدامة في المجتمع؛ إذ إن إعداد مجتمع خالٍ من الأمراض يعني بالتنمية إعداد أفراد قادرين على العطاء والإسهام الفعال في بناء المجتمع، وعليه فإن اهتمام الأيوبيين ببناء المارستانات، ودعمها يعكس اهتمامهم - في الحقيقية – بتحقيق التنمية المستدامة.

سارت الدولة الأيوبية على نهج الشريعة الإسلامية بالحث على الاهتمام بالأحوال الصحية؛ فقد عملت على مكافحة الأوبئة والأمراض قبل انتشارها؛ فالوقاية خير من العلاج، ومسببات هذه الأمراض سببان رئيسان هما: عدم الاهتمام بنظافة البدن والملبس، وتلوث بعض المأكولات والمشروبات؛ فعملت الدولة على تكثيف عمل المحتسبين المسؤولين عن هذا الميدان لمنع بيع المأكولات غير الصحية، وكان المحتسب بالمرصاد لمن يثبت عليه الغش[62]، وكان يمر كل صباح بحوانيت الطعام والشراب لمنع غش الباعة[63]، كما ألزم المحتسبون السقائينَ بالتوغل داخل نهر النيل عند جلب المياه، وعدم جلب الماء من أطراف النهر بغية الابتعاد عن مواضع التلوث.[64]

وحرصًا من الدولة الأيوبية على الصحة العامة عملت عددًا من الإجراءات لمكافحة الأمراض منها إخضاع الأبنية إلى الشروط الصحية؛ إذ زودوا بيوتهم بنظام صحي لغرض التهوية والتبريد، وقد وصفها عبد اللطيف البغدادي[65] عند رحلته إلى مصر أواخر (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، وذكر أن المصرين "غالب سكناهم في الأعالي، ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة، ويحكمون قنوات المراحيض... وإذا أرادوا البناء استحضر المهندس وفوض اليه العمل[66]"، كما جعلوا في أعلى منازلهم فتحات كبيرة لتكون منفذًا لدخول الهواء الى القاعات والإيوانات كأنها نوع من تبريد الهواء.[67]

والبيمارستان، كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما (بيمار) أي المريض، ومن (ستان) اي البيت[68]، ومعناها (بيت المريض)[69]، وتُعدُّ البيمارستانات إحدى المؤسسات الخيرية العامة التي شيدها السلاطين والأمراء وأهل الخير واليسار من الرجال والنساء خدمة للإنسانية ولتكون صدقة جارية، وتخليدًا لذكراهم.[70]

ولأنها مركز الرعاية الصحية التي تهتم بصحة المرضى ومعالجتهم، فقد اهتم السلاطين بها ولا سيما السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أسس البيمارستانات العديدة، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة[71]، وسار خلفاؤه من بعده على سياسته من حيث الاهتمام بها لكن دورهم اقتصر على رعايتها من دون إقامة بيمارستانات جديدة، واهتموا بالعاملين فيها من أطباء وصيادلة وخدم وخصصوا لهم الرواتب والجرايات، وهدفهم من ذلك رفع المستوى الصحي وبناء مجتمع سليم ومعافى من الأمراض .[72]

---

[58]() المقريزي، الخطط، ٢ / ٤٠٠

[59]() السيوطي، حسن، 2/ 257.

[60]() المقريزي، الخطط، ٢/ ٤٠٠ - ٤٠١ .

[61]() شميساني، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، ص33.

[62]() العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، التعريف بالمصطلح الشريف، دار الكتب العلمية/ (بيروت : ١٩٨٨م)، ص١٦٢.

[63]() أبو زيد، سهام مصطفى ، الحسبة في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر المملوكي،(مصر، الهيئة المصرية العامة للكتابه ١٩٨٦)، ص ٨٥ .

[64]() ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد بن ابي زيد القرشي، معالم القربة في طلب الحسبة ، (كمبردج ، دار الفنون ، د.ت) ، ص ٢٤٠.

[65]() البغدادي، موفق الدين بن يوسف بن محمد بن علي بن ابي سعيد ، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة : ١٩٩٨م)، ص١١٣ .

[66]() البغدادي ، رحلة ، ص ١١٣.

[67]() خضر ، مهدي قادر ، الامن في مصر في العصر الأيوبي، مطبعة روزهه لات ، (اربيل : ٢٠١١م) ، ص ١٦٢.

[68]() شير، ادى الألفاظ الفارسية المعربة ، (القاهرة، دار العرب ، ١٩٨٨)، ص ٣٣ .

[69]() المقريزي ، السلوك ، ص ٢٦٦.

[70]() عيسى بك ، احمد ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، المطبعة الهاشمية. (دمشق، ١٩٣٩م)، ص127.

[71]() ابراهيم ، خالدة سلمان ، الحياة الاجتماعية في مصر العصر الأيوبي ، دار و مكتبة البصائر، (بيروت : ٢٠١٣م)، ص217.

[72]() ابراهيم ، الحياة الاجتماعية ، ص٢١٧.

وقد حظي الأطباء في العصر الأيوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧٢-١٢٥٠م) بمنزلة عالية ومنهم من تولى منصب رفيع لدى السلاطين الأيوبيين، ومنهم الطبيب موفق الدين ابن المطران[73]، أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب وعمله، الذي حظي بمنزلة وجاه عظيم أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ / ١١٧٢-١١٩٣م).[74]

والطبيب شمس الدين الخوبي الذي ولاه الملك المعظم عيسى ابن السلطان العادل سيف الدين (٦١٥-٦٢٤هـ / ١٢١٨-١٢٢٧م) القضاء، وجعله قاضي القضاة بمدينة دمشق وأكرمه وأطلق له جامكية (الرواتب) وجراية.[75]

كانت الرعاية الطبية في البيمارستان للجميع، وكان الأطباء يتفقدون المرضى، ويفحصونهم بعناية كبيرة ويأمرون بإعداد ما يحتاجه المريض من علاج، ويقدَّم فيه الطعام والدواء مجانًا، وفي البيمارستان سجلات يدون فيها أسماء المرضى والنفقات التي يحتاجونها[76]، ومن أهم البيمارستانات في العصر الأيوبي:

1- بيمارستان القاهرة

شرع السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) في إنشاء هذا البيمارستان[77]، وسمي بالبيمارستان الناصري، كما سمي البيمارستان الصلاحي نسبة إلى مؤسسه، واتخذ موقعه بمدينة القاهرة في موقع خزانة الشراب في القصر الشرقي الكبير[78]، وجاء اختياره لهذا المكان بناءً على توفير الشروط الصحية فيه وبعده عن الضوضاء، وقد أشار القلقشندي[79]، إلى سبب آخر لاختيار هذا المكان فيقال أن فيها طلسمًا لا يدخلها نمل، وأن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستانًا، وتكون البيمارستان الناصري من ثلاثة أقسام، قسم خاص بالرجال، وقسم ثانٍ خاص بالنساء، وقسم ثالث خاص بالأمراض العقلية، وكان القسم الأخير واسع الفناء عليه شبابيك من جديد.[80]

2- بيمارستان الفسطاط

أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بفتح بيمارستان في مدينة الفسطاط، وكانت على نمط المارستان الناصري، وقد أشار إلى ذلك ابن جبير بقوله: "وبمصر - أي الفسطاط - مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينة[81]، وقد أنفق عليه من ديوان الأحباس ما يقدر بعشرين دينارًا، ورتب فيها أطباء وعمالًا ومشارفًا، وقد انتفع بهذا البيمارستان الفقراء[82]

3. المارستان الناصري

بناه صلاح الدين الأيوبي في مدينة القاهرة في احدى قاعات القصر الفاطمي الكبير، واستمر هذا المارستان بالعمل لمدة طويلة، ومن أشهر من درس فيه موفق الدين بن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) الذي درس فيه أمراض العيون وسبل معالجتها وهو ما يعرف بالكحالة.[83]

4- بيمارستان الإسكندرية

أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩ هـ / ١١٧٢-١١٩٣م) في مدينة الإسكندرية بيمارستان سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م لعلاج من يمرض من أبناء السبيل المغاربة، وقد بنى البيمارستان إلى جوار ضريح أخيه الملك المعظم توران نشاه (٥٧٦هـ / ١١٨٠م) صاحب اليمن[84]، ورتب فيها الأطباء لعلاج المرضى، كما خصص فيه أطباء للمرضى غير القادرين على التوجه إلى البيمارستان من الغرباء خاصة ليتكفلوا بمعالجتهم، كما عين فيها الخدم لتقديم الخدمات للمرضى من علاج وطعام.[85]

وأما فيما يخص البيمارستانات والتنمية الصحية المستدامة؛ فتعد الصحة من الأمور الأكثر أهمية في المجال التنموي لأنها تبرز عن أحد مؤشرات التنمية المستدامة وبالذات على وفق بعد أساسي يتمثل في البدء الاجتماعي وإنهاء حالة التكامل البدني، العقلي، المهني، وليس

---

[73]() ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة،(بيروت ، د. ت) ص ٦٦٢.

[74]() إبراهيم، الحياة الاجتماعية ، ص ٠٢١٨

[75]() ابن ابي اصيبعة، عيون الأبناء ، ص ٦٤٦ .

[76]() غوانمه، تاريخ، ص ١٣٣.

[77]() ابن الاثير الكامل،٧ /٨٤ .

[78]() ابراهيم، الحياة الاجتماعية، ص٢١٨.

[79]() صبح الاعشى، 3/ 244.

[80]() ابن جبير ابي الحسن محمد ابن احمد الاندلسي، رحلة ابن جبير المعروفة باعتبار الناسك في ذكر الاثار والمناسك ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ٢٠٠٣)،ص ٤٢-٤٣.

[81]() ابن جبير، رحلة ، ص ٤٣ .

[82]() غوانمة، تاريخ ، ص١٨٤.

[83]() القلقشندي ، صبح ، ٣/٤١٧ ٠

[84]() ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٥

[85]() إبراهيم، الحياة الاجتماعية، ٢١٨.

مجرد غياب المرض والعجز، ،ان الصحة حق أساسي من حقوق الإنسان وهدف اجتماعي عالمي النطاق، وأنها أمر أساسي لتلبية الاحتياجات الأساسية.[86]

وأن البيمارستان الذي في القاهرة والفسطاط والمارستان الناصري وبيمارستان الإسكندرية وكذلك بيمارستانات العصر المملوكي التي تعد امتدادًا للعصر الأيوبي، نماذج لتحقيق تنمية صحية مستدامة بتوفير الخدمات الصحية الأساسية للجميع على أساس الكفاءة، ويسر التكلفة للوقاية من الأمراض ومكافحتها ومعالجتها بما يتماشى مع القيم الثقافية والدينية.[87]

المبحث الثاني: التنمية المستدامة ودورها في الحياة العلمية والصحية في العصر المملوكي (648-623هـ / 1250-1517م)

شهد العصر الملوكي ازدهارًا في الحياة العلمية والصحية بالوقف الذي كان يعد المصدر المالي الأساسي لغالبية المؤسسات العلمية والصحية في ذلك العصر منها المدارس والبيمارستانات؛ فقد كان ريع هذه الأوقاف كفيل بتوفير رواتب المعلمين في هذه المدارس فضلًا عن توفير نفقات الطلبة الدارسين في هذه المدارس من توفير السكن لهم والملبس الجيد، ورواتب للطلبة المحتاجين، وتوفير مستلزماتهم كافة فضلًا عن توفير الأموال اللازمة لبناء البيمارستانات وتوفير الأطباء العاملين فيها بريع هذه الأوقاف وتوفير كل ما يحتاجونه من رواتب وأدوية ورعاية طبية لأفراد المجتمع في العصر المملوكي جميعهم ، بدون اي تفرقة بين أفراد المجتمع حيث رصدت الدولة المملوكية أوقاف كبيرة لتوفير كافة مستلزمات انشاء البيمارستانات في ذلك العصر وتوفير الخدمات الطبية مجانًا للجميع من علاج وطعام ودواء بما يضمن عدالة صحية لطبقات المجتمع جميعها من دون تميز لتحقيق ولضمان حياة صحية للجميع بما يتماشى مع أهداف التنمية المستدامة المعاصرة.

أولًا: المماليك وأصلهم

والمماليك مفردها مملوك، ومعناه العبد والمولى، وهم جماعة عسكرية ينتمي أفرادها إلى الأتراك أو المغول أو الشركس[88]، وكانوا يُبتاعون في سوق النخاسة في البلاد الروسية والقفقاسية[89]، أو يقدمون كنوع من الإهداء والهبات أو على شكل ضريبة أو جزية يدفعها حكام الولايات أو القادة العسكريون[90]، واقتصر أمرهم في الدولة الإسلامية على الولايات أو القادة العسكريين[91]، واقتصر أمرهم في الدولة الاسلامية على الرقيق البيض دون السود.[92]

كان ظهور المماليك في العالم الإسلامي في القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد؛ فقد كان للفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر أثرها في دخول أعداد كبيرة من أسرى الأتراك إلى البلاد الإسلامية[93]، وعندما ضعفت الدولة العباسية وانقسمت إلى دويلات عمد بعضها إلى الاستكثار من المماليك وتجنيدهم لحمايتها كما فعلت الدولة الأيوبية في مصر والشام، ولا سيما آخر سلاطينها الصالح نجم الدين[94]، وقد ضاقت بهم القاهرة، وصاروا يشوشون على الناس، وينهبون البضائع من الدكاكين فضجر منهم الناس، ولما بلغ الملك الصالح ذلك بنى لهم قلعة بالقرب من المقياس وأسكنهم بها وأسماهم المماليك البحرية وتجري عليهم بها الرواتب والجوامك.[95]

وقام المماليك البحرية بواجبهم العسكري خير قيام بعد انهيار المقاومة، فانقذوا الشام من أيدي التتار، وحموا بقية العالم الإسلامي غربًا من بلائهم الشديد[96]، وتمكنوا من تدمير قواتهم في معركة عين جالوت سنة (658هـ / ١٢٦٠م)[97]، وقد بلغ عدد سلاطينهم أربعة وعشرين سلطانًا آخرهم السلطان الصالح زين الدين حاجي بن شعبان الثاني[98] الذي خلعه برقوق الجركسي سنة (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)، فكانت مدة ملكهم ابتداء من سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) إلى سنة (٧٨٤هـ / ١٣٨٣م) ١٣٦ سنة.[99]

---

[86]() الجمل، هشام مصطفى، دور الموارد البشرية، في تمويل التنمية بين النظام المالي الإسلامي، دار الفكر الجامعي، (الإسكندرية : 2006م)، ص78-83.

[87]() بكري، كامل، الموارد البشرية واقتصاداتها، دار النهضة، (بيروت : 1986)، ص320.

[88]() ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت : د.ت)، 10/ 493.

[89]() ابن الوردي ، زين الدين عمر ، تتمة لمختصر في اخبار البشر (بيروت : ١٩٧٠م)، ٢ /٣٨.

[90]() فايد ، عاشور حماد ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية ،(القاهرة ١٩٧٤م) ، ص ١٢.

[91]() زيادة ، محمد مصطفى واخرون ، تاريخ الحضارة المصرية . (القاهرة : د/ت) ، ص ٤٨١.

[92]() عطية الله، احمد ، القاموس الإسلامي (القاهرة : ١٩٦٦م)٢/ ٥٥٧ .

[93]() رشاد، عبد المنظم ، العرب وجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية ،(بغداد ، ١٩٩٩م) ص ٧١.

[94]() فليح ، مناهل فخر الدين، التعليم في ظل دولة المماليك ، مجلة آداب الرافدين، (موصل : ١٩٧٩م) ، العدد١٠ ، ص٣٨٣ .

[95]() سلام ، محمد زغلول ، الأدب في العصر المملوكي، (مصر ، ١٩٣٦م)، ص٤٨-٤٩.

[96]() باشا ، عمر موسى ، تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي، (بيروت : ١٩٨٩م) ، ص ٣٠

[97]() عين جالوت: ببلدة بين نابلس وبيسان من أعمال فلسطين . إليها انتهى عساكر المغول فلقيهم بها المماليك وكسروهم وكان ذلك انتهاء غزوهم ينظر :ابو شامة عبد الرحمن اسماعيل المقدسي ، ذيل الروضتين تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، (بيروت ،١٩٧٤م) ص٢٠٧.

[98]() حاجي : الملك الصالح حاجي وهو من بني قلاوون واخر ملوك الدولة البحرية . انظر : ابن صصري ، محمد بن محمد : الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ،(لندن : ١٩٦٣) ، ص٩ .

[99]() جاسم ، عبد الرزاق ذنون ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين المماليك وبلاد النوبة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة موصل، 1980م، ص١١.

ثم تولى المماليك الجراكسة الحكم؛ إذ تولى السلطان برقوق حكم دولة الجراكسة (784-801هـ / 1382-1399م)، وبدأ حكم الجراكسة لكل من مصر وبلاد الشام واستمر لمدة (139) سنة؛ إذ سقطت الدولة بدخول آخر سلطان مملوكي طومان باي [100]في حرب مع العثمانيين في معركة الريدانية[101] أواخر سنة (922هـ / 1516م)، وقاوم طومان باي في الدفاع عن مصر إلَّا أنه في شهر ربيع الأول من عام (923هـ / 1217م) تم القبض عليه وسيق إلى باب زويلة في القاهرة وأمر السلطان العثماني سليم الأول[102] بشنقه على هذا الباب، لتنتهي دولة المماليك الجراكسة، بعد أن حكمت لمدة (139) سنة، وللحديث عن التنمية المستدامة في المؤسسات العلمية والصحية في العصر المملوكي سوف نقوم بالحديث عن المدارس والبيمارستانات كنماذج للتنمية المستدامة في العصر المملوكي.

ثانيًا: المؤسسات التعليمية ودورها في التنمية المستدامة في العصر المملوكي

نشير هنا مرة أخرى إلى الدور الفعال والمهم للتعلم في تحقيق التنمية المستدامة، وهو ما لفت انتباه المماليك أيضًا.

عندما ظهر الإسلام كان من أهم ما دعا إليه القرآن الكريم طلب العلم والعمل على تحصيله، كما حثت الأحاديث النبوية الشريفة على طلب العلم ولو كان في الصين[103]، وطريقة التعليم في عصر المماليك تهتم بالحفظيات وتهمل المنافسة والتفكير والتساؤل التي هي من أهم أسس العلم، ولكن بوسعنا القول إن العلم كان يصل إلى فئات الشعب جميعها؛ لكثرة وجود المساجد والمدارس وأماكن العام الأخرى[104]، فقد عُني المماليك عناية فائقة بالمنشآت الدينية والخيرية التي أسسوها هم وأسلافهم الزنكيون والأيوبيون مثل الجوامع والمساجد والمدارس ودور القرآن والحديث وخزائن الكتب؛ من أجل نيل الثواب من الله فضلًا عن أن هذا العمل يعدُّ ضرورة اجتماعية.[105]

سار المماليك على سنة سلفهم في الإكثار من بناء المدارس[106]؛ مما يدل على ازدهار النشاط العلمي حتى قال القلقشندي إنهم بنوا من المدارس (ما ملأ الأخطاط وشحنها)[107]، وذكر ابن بطوطة عن مدارس مصر والشام في القرن الثامن الهجري أنه (لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها)[108]، وقد تنافس كبار العلماء لينالوا خطوة التدريس في هذه المدارس وجرت العادة أن يوقف للطلبة راتب شهري مقداره عشرة دراهم، وللمعيد عشرون درهمًا، وللمدرس ثمانون درهمًا[109]، وكانت وظيفة التدريس بالمدرسة جليلة القدر بخلع السلطان على صاحبها[110]، ويكتب له توقيعًا من ديوان الإنشاء يختلف باختلاف المادة التي يدرسها إن كانت تفسيرًا أو حديثًا أو غير ذلك، وفي هذا التوقيع يقدِّم السلطان النصح للمدرس بأن يظهر مكنون علمه للطلاب ويقبل على الدرس وهو طلق الوجه منشرح الصدر ليستميل آليه طلبته، ويربيهم كما يربي الوالد ولده[111]، وطلب كذلك من المدرس أن ينظر في طلبته ويحثهم كل وقت على الاشتغال[112]، وكان المدرس يلقي الدرس ويفهمه الحاضرين وهو جالس على مكان مرتفع في وسط طلابه، فيلقي درسه شفاها أو من كتاب، ثم تجري المناقشة بينه

---

[100]() طومان باي: وهو آخر سلاطين المماليك الجراكسة، تدرج في المناصب الإدارية والعسكرية حتى تسلم منصب نائب الغيبة في أواخر عصر السلطان الغوري، وتسلم السلطنة في أواخر سنة (922هـ / 1516م) وكان ملكاً حليماً قليل الأذى كثير الخير، وكانت الناس عنه راضية وكانت القاهرة في عهده في مأمن من المفاسد والحرائق وقد عمل هذا السلطان على إيقاف المماليك الذين اتصفوا بالكسل والتخاذل ورفع معنوياتهم للدفاع عن الدولة ضد الاخطار المحدقة بها من قبل الأعداء ودخل المعركة الأخيرة مع العثمانيين في الريدانية وقاتل قتالاً بطوليًا حتى خسر المعركة وقبض عليه وشنق على باب زويلة بالقاهرة سنة (923هـ / 1517م)، بعد أن حكم ثلاث أشهر وأربع عشر يوماً. ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، (بيروت : 1975م)، 5/176-177 ؛ ماجد، عبد المنعم، طومان باي، آخر سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة : 1978م)، ص159-160، 172-173.

[101]() الريدانية: وهي المعركة الأخيرة التي وقعت بين المماليك بقيادة السلطان طومان باي وبين العثمانيين بقيادة السلطان سليم الأول قرب القاهرة في أواخر ذي الحجة سنة (922هـ / 1516م) وأوائل شهر محرم سنة (923هـ / 1516م) وقد استبسل طومان باي وجيشه في حربهم ضد العثمانيين حتى تمكنوا من قتل عدد كبير من قادة الجيش العثماني ومن ضمنهم الصدر الأعظم سنان باشا وانتهت بهزيمة المماليك وسقوط دولتهم، لتبدأ عصر السيطرة العثمانية على مصر والبلاد العربية. ابن إياس، بدائع الزهور، 5/145-149 ؛ ابن زنبل، أحمد الرمال، آخرة المماليك، تحقيق: عبد المنعم عامر، تقديم: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، (القاهرة : 1998م)، ص26

[102]() السلطان سليم الأول: وهو تاسع سلاطين الدولة العثمانية حكم خلال السنوات (918-926هـ / 1512-1520م)، ويعرف بالقاطع لصرامته العسكرية وهو أول من حمل لقب خليفة المسلمين وخادم الحرمين الشريفين بعد ان ضم كل من مصر والشام والحجاز وقضى على الصفويين والمماليك في مصر في معركة الريدانية سنة (923هـ / 1517م) وقام بالفتوحات الكثيرة في المشرق الإسلامي، وقام بترسيخ أركان الدولة العثمانية كقوة إسلامية كبرى في المنطقة ووريثة للخلافة الإسلامية آنذاك. القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، (بيروت : د.ت)، ص220 ؛ يحيى، جلال، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المطبعة العصرية، (الإسكندرية : 1982م)، ص275-276.

[103]() الخربوطلي ، علي حسن ، الحضارة العربية الإسلامية، (القاهرة ،١٩٧٥م) ،ص ٠٢٣٣

[104]() عاشور، المجتمع ، ص ١٤٣ .

[105]() خلف ، الحياة ، ص ٠١٤١

[106]() فليح ، التعليم ، ص ٣٩٠ .

[107]() احمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء علق عليه محمد حين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٧) ١١ /٢٤٦ -٢٤٧.

[108]() ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، (بيروت : 1964م)، ص101.

[109]() الخطيب ، ابن العباس احمد بن حسين بن علي ، الوفيات ، تحقيق عادل نويهض، ط٢ ، دار الأفاق الجديدة ،(بيروت - ١٩٧٨).

[110]() عاشور، المجتمع ، ص ١٤٤ ٠

[111]() القلقشندي ، صبح ،١١ /٢٤٦- ٢٤٧.

[112]() النويري ، احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الادب (القاهرة،١٩٧٦م)، ٣٠ /٣٤١- ٤٤٢.

وبين الطلاب في موضوع الكتاب[113]، إن وجود المدرسة شأنه شأن بقية المؤسسات الدينية والعلمية والخيرية في ذلك العصر فكان نظام الأوقاف خير دعامة تشد أزرها، وتمكنها من البقاء والاستمرار في أداء رسالتها.[114]

ويمكن أن نوضح مفهوم التنمية المستدامة بالمدارس في العصر المملوكي (648-٩٢٣هـ / 1250- ١٥١٧م) بدراسة كيفية مساهمة هذه المدارس في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والبيئة، ومن الملاحظ أن عناية المماليك بالمدارس لم تقتصر على إنشاء مدارس جديدة بل امتدت لتشمل الرعاية والإصلاح بالمدارس القديمة التي أنشأها السابقون أيضًا، ونرى مثال ذلك ما قام به النائب شاهين الشجاعي في زمن برسباي[115]؛ إذ جدد المدرسة الجاولية، وهي مدرسة وقفها الأمير علم الدين الجاولي نائب القدس منه (٧١٥هـ / ١٣١٥م)، وقد سميت هذه المدارس في العصر المملوكي باسم واقفها، وهناك من يتولى شؤونها كالناظر والمشرف على شؤون المكتبة والقيم على المدرسة والخدم[116]، وقد ساهمت هذه المدارس في تعزيز التعليم بمفهوم التنمية المستدامة عبر نشر العلم والمعرفة، والتكامل الاجتماعي بتوفير فرص التعليم للجميع، ومن هذه المدارس:

١ـ مدرسة الكلاسة

وهي لصيقة الجامع الأموي، عمَّرها نور الدين بن زنكي سنة (٥٥٥هـ / ١١٦٠)[117]، وأبرز من درس بها علاء الدين بن زيادة بن عبدالرحمن الجكي (ت:٧٨٢هـ / ١٣٨٠م)[118]، وشمس الدين محمد بن سليمان الصرخدي (ت: ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م).[119]

2- المدرسة السابقية

تقع هذه المدرسة داخل قصور الفاطميين، بناها الطوشي الأمير سابق الدين مثقال الأنوكي مقدم المماليك السلطانية الأشرفية، وجعل فيها مدرسًا للفقه الشافعي وقدر في تدريسها الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن، وجعل فيها متصدرًا للقراءات وخزانة كتب، وكتابًا يقرأ فيه ايتام المسلمين وبنى بقربها حوض ماء للسبيل، وتوفى سابق الدين سنة (٧٧٦هـ /١٣٧٤م).[120]

3-المدرسة العذراوية

أنشأتها الست عذراء بنت أخ صلاح الدين يوسف سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) وتوفيت سنه (٥٩٣هـ / ١١٩٦م)[121]، وأبرز من ولي التدريس بها زين الدين محمد بن عبد الله بن مكي (ت: ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)[122]، وجمال الدين أبو عبدالله بن محمد بن طميان (ت: ٨١٥هـ / ١٤١٢م)[123]، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن نشوان (ت: ٨٩١هـ / ١٤١٦م)[124]، وعلي بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن علي بن اسحاق (ت: ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)[125]، ومحب الدين محمد بن برهان بن قاضي عجلون (ت: ٨٩١هـ / ١٤٨٦م).[126]

4- المدرسة الأمينية

بناها أتابك العساكر أمين الدولة كمشتكين بن عبد الله الطغتكين سنة (٥٣٠هـ / ١١٣٥م)[127]، وأبرز من درس بها تقي الدين محمد بن عبدالقادر بن علي بن سبع البعلي (ت: ٧٩١هـ / ١٣٨٨ م) الذي برع في القراءات[128]، وشهاب الدين أحمد الحسباني (ت: ٨١٥هـ /

---

[113]() السبكي عبد الوهاب بن علي، معيد النعم ومبيد النقم ، ط ٢، (بيروت، دار الحديثة، ١٩٨٥)، ١٠٥.

[114]() غنيمة ، تاريخ ، ص ٠١٠٤

[115]() برسباي: هو سيف الدين أبو النصر برسباي الدقمان الظاهري الجركسي تدرج في المناصب الإدارية والعسكرية حتى تسلم السلطنة سنة (825هـ / 1421م) عرف بالدين والوقار وأنشأ نظاماً قويًا وأهم إنجازاته فتح جزيرة قبرص واستعادتها من الافرنج وتأمين حدود البلاد وأصلح النظام الاقتصادي للدولة وسك نقود جديدة واهتم بالعمارة وأنشأ المدارس والمساجد والمنشآت الدينية والمدنية وكان محباً للفروسية وازدهرت التجارة في عهده واستقرت كل من مصر وبلاد الشام في عهده، وحكم لمدة عشر سنين وتسعة اشهر وتوفي سنة (841هـ / 1423م). المقريزي، الخطط، 244/2 ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، 71/2-75، 100، 187-18 ؛ الحويري، محمود، مصر في العصور الوسطى، عيد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (مصر : 2003م)، ص267-269.

[116]() زيادة ، نيقولا ، دمشق في عصر المماليك ،(بيروت، ١٩٦٦)، ص ١٢١ ؛ فليح ،التعليم ، ١٠ /٣٩٢ .

[117]() النعيمي، الدارس ، ١/ ٠٣٤٠

[118]() المصدر نفسه، ١ /٣٤٣.

[119]() ابن العماد ، ابن الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٢، (بيروت،١٩٧٩)، ٦/ ٣٢٤.

[120]() المقريزي ، الخطط ، ٢/ ٣٩٣ - ٣٩٤.

[121]() النعيمي، الدارس ، ٢٨٣ .

[122]() ابن العماد ، شذررات، ٦/ ٢٩٨ -٢٩٩.

[123]() ابن العماد ، شذرات، ٧/٠١١١

[124]() النعيمي ، الدارس ، ١/ ٠٢٨٧

[125]() ابن قاضي شهبة ، تقي الدين بن احمد، طبقات الشافعية ، تحقيق : الحافظ عبد العليم خان ، ط ١ ، (بيروت، عالم الكتب،١٤٠٧هـ)، ٤ /٩٢- ٩٤.

[126]() النعيمي، الدارس، ١/ ٢٨٩ .

[127]() الأربلي، المدارس ،ص ١٥ .

[128]() ابن العماد، شذرات ، ٦ /٣١٨ .

١٤١٢م) [129]الذي قال عنه السخاوي (مهر في الفن وضبط الأسماء واعتنى بتحرر المشتبه وكتب بخطه أشياء وتقدم على أقرانه في عدة فنون وهو شاب مولع القراءة مع مشاركة في الفقه وأصوله فضلًا عن العربية[130]، و شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوي (ت: ٨٣١هـ / ١٤٢٧م) درس الفقه وأصوله[131]، و تقي الدين بن أحمد بن محمد بن عمر المعروف بأبن قاضي الشهبة (ت: ٨٥١هـ / ١٤٤٧م)[132]، وعز الدين البعليكي الحسيني (ت: ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨م).[133]

5- المدرسة العادلية الكبرى

أول من أنشأها نور الدين بن محمود زنكي سنة (٥٦٨هـ / ١١٧٢م)؛ إذ لم يكتمل بناؤها فاستمرت كذلك، ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين، ثم توفي ولم تتم أيضًا فأتمها ولده الملك المعظم سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)[134]، وولي مشيختها ودرس بها شمس الدين محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)[135]، وشمس الدين محمد بن إسماعيل بن أحمد الونائي (ت: ٨٤٩ هـ / 1445م)[136]، وسراج الدين أبو حفص عمر بن موسى الحمصي (٨٦١هـ / ١٤٥٦م).[137]

6- المدرسة العادلية الصغرى

أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل الأيوبي[138]، درّس بها الفقه شهاب الدين أحمد بن صالح الزهري البقاعي (ت: ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)[139]، وبدر محمد بن أحمد بن مكتوم السويدي الدمشقي (ت: ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م)[140]، ومحمد بن أحمد بن عيسى بن الصيدلاني (ت: ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م) .[141]

7- مدرسة السلطان حسن

أنشأها السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في بداية سنة (٧٥٨هـ / ١٣٥٦م) واكتمل بناؤها في سنة (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) في سوق الخليل تجاه قلعة الجبل في القاهرة .[142]

وكانت هذه المدرسة من أكبر المدارس في العصر الملوكي؛ إذ صرف عليها مبالغ كبيرة من الأوقاف الكبيرة عليها[143]، وقد درس في هذه المدرسة فقه المذاهب الأربعة للدلالة على حرية الفكر والتسامح الديني الذي كان موجود في ذلك العصر.[144]

٨- المدرسة الظاهرية:

بناها السلطان القاهر بيبرس واكتمل بناؤها سنة (٦٦٢هـ / ١٢٦٣م)، وتقع بخط بين القصرين في القصر الكبير المعروف بقاعة الخيم[145]، وقد درس في هذه المدرسة المذهبين الشافعي والحنفي؛ إذ درس فيها الشيخ مجد الدين أبو بكر الزنكلوني وسراج الدين عمر البلقين المذهب الشافعي[146]، ودرس فيها الشيخ مجد الدين عبد الرحمن بن عمر الحلبي الفقه الحنفي[147]، وقد بنى السلطان الظاهر بيبرس

---

[129]() ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ٤/١١ ، غوانمة ، الحياة ،ص ٩٠.

[130]() محمد بن عبد الرحمن ، وجيز الكلام في الذيل على دولا الاسلام ، تحقيق: بشار عواد معروف واخرون ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت : ١٩٩٥) ،٢ / ٤٢١.

[131]() ابن قاضي الشهبة، طبقات الشافعية ، ٤ / ١٠١ ؛ النعيمي ،الدارس، ١/ ١٥١.

[132]() السخاوي ، وجيز، 5/ 617.

[133]() النعيمي، الدارس، 1/ 152.

[134]() النعيمي، الدارس، ١ /٢٧١.

[135]() السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (القاهرة، ١٩١٤) ٩/ ٢٥٧.

[136]() النعيمي ، الدارس، ١/ ٢٧٨ ؛ عبد المهدي، عبد الجليل حسن، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، مكتبة الأقصى، (عمان : 1981م)، 1/ 395.

[137]() السخاوي ، الضوء، ٦/ ١٣٩ ، وجيز، ٢/ ٧٠٥.

[138]() النعيمي، المدارس، ١/ ٢٧٨.

[139]() السخاوي ، الضوء ، ٥/ ٢٣٠ ؛ النعيمي، الدارس، 1/ 280.

[140]() ابن قاضي الشهبة، طبقات الشافعية، 163/2.

[141]() النعيمي، الدارس، ١/٢٨٢.

[142]() القلقشندي ، صبح، 415/3 ؛ ابن شاهين، زبدة، ص٣١ ؛ حمزة، الحركة، ص١٦٤.

[143]() ابن شاهين، زبدة، ص٣١ ؛ سلام، الأدب، ص١١٥.

[144]() ابن شاهين، زبدة، ص٣١ ؛ حمزة، الحركة، ص١٦٤ ؛ معروف، تاجي، نشأت المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الازهر، (بغداد : ١٩٩٦م)، ص١٧.

[145]() القلقشندي، صبح، 3/ 415 ؛ ابن شاهين، زبدة، ص٣٠-٣١.

[146]() الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد وفنون، (بغداد : ١٩٧٠)، 10/ 52.

[147]() ابن حجر، الدرر، 5/ 122.

بجانبها مكتبًا لتعليم الأيتام وأوقف على هذه المدرسة الكثير من الأوقاف من الأراضي والأسواق والحوانيت لتوفير كل ما يحتاجه الطلبة والمدرسين فيها من الرواتب والكسوة والطعام وتوفير كافة مستلزماتهم.[148]

٩- المدرسة الظاهرية (البرقوقية)

أنشأها السلطان الظاهر برقوق بين القصرين في سنة (٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) واستمر البناء إلى سنة (٧٨٨هـ / ١٩٨٦م)، وافتتحها السلطان باحتفال كبير حضره الأمراء والقضاة والعلماء ومدَّ لهم مائدة كبيرة بمختلف أنواع الأطعمة والأشربة بمناسبة افتتاحها[149]، وقد درس في هذه المدرسة أيضًا فقه المذاهب الأربعة وتولى مشيختها الشيخ علاء الدين السيرامي الحنفي (ت: ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) الذي درس الفقه الحنفي فيها[150]، وسراج الدين العبادي درس في الفقه الشافعي[151] ودرس في الفقه الحنبلي جلال الدين البغدادي (ت: ٨١٢ هـ / ١٤٠٩م)[152]، ودرس التفسير فيها علم الدين صالح بن سراج البلقيني (ت: ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م).[153]

ثالثًا: البيمارستانات ودورها في التنمية المستدامة في العصر المملوكي

كما احتل الجانب الصحي الاهتمام المناسب من لدن المماليك ايضًا لما له من أهمية كبيرة وفاعلة في تحقيق التنمية المستدامة؛ فقد قام سلاطين المماليك ببناء المستشفيات كونها منشآت عامة، فضلًا عن أنها خدمة للإنسانية، ولم تقتصر مهمة البيمارستان على معالجة المرضى بل كانت معاهد لتعليم الطب؛ إذ تخرج فيها الأطباء والجراحون والكحالون، وقد أدرك المسلمون أهمية ما تمتاز به البيمارستان من إمكانية لتعليم الطب سواء أكان في العصر الأيوبي أم في العصر المملوكي.

ونتيجة لما تقدم غدت الشام ومصر منبرًا حرًّا للعلم والمعرفة؛ لأن السمة الغالبة على النشاط العلمي والصحي فيها أنها احتضنت علماء المسلمين وأطبائها على اختلاف قومياتهم ولغاتهم وألوانهم، وكذلك الحال مع العلماء والأطباء غير المسلمين بعيدًا عن التعصب الذي تسببه العواطف المنفلتة عن سيطرة العقل وتوجهاته، هكذا ساهم الجميع في العصرين الأيوبي والمملوكي بحسب قدراتهم ومهاراتهم في إنعاش العلوم وازدهارها.

وتشمل التنمية المتوازنة جوانب اجتماعية وثقافية وإنسانية عدة، ويقصد بالتنمية الاجتماعية (social Development) تنمية علاقات الانسان المتبادلة، وتحسين التعليم والثقافة والوعي والسياسة والصحة لديه، وإتاحة فرص الحرية والمشاركة له، وتعد التنمية مجموعة من الخدمات الاجتماعية التي تقدم في مجالات كثيرة كالصحة والتعليم، ومن هذا المفهوم كان في بلاد الشام ومصر عدد من البيمارستانات، ومن أهمها:

1- البيمارستان الكبير بدمشق

الذي بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)[154]، وقد وصفه ابن جبير عندما زار دمشق سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) فقال: (بها مارستان قديم وحديث والحديث أفضلهما)[155]، ويقصد بالقديم هو البيمارستان الذي بناه الوليد بن عبدالملك[156]، كما زار هذا البيمارستان خليل بن شاهين سنة (٨٣١هـ / ١٤٢٧م)، وكان برفقة حاج فارسي ظريف وصفه بأنه لم ير مثله في الدنيا قط، وقد أدهش الحاج ما أتيح للمرضى من أسباب الراحة؛ فتظاهر بالمرض وقبل حالًا في عداد المرضى، لكن رئيس الأطباء الذي فحصه فحصًا مدققًا وجد أنه سليم معافى ومع ذلك وصف له الدجاج المسمن والأشربة الزكية والفواكه الشهية، وأقراص الحلوى وغير ذلك من الأطايب، وعندما حل الوقت كتب له وصفة أخرى هي (أن حدَّ الضيافة ثلاثة أيام)[157]، ولي نظر البيمارستان إسماعيل بن أبي بكر بن شجاع الصلتي (ت: ٧٩٤هـ / ١٣٩١م)، وتوفي بها.[158]

٢- البيمارستان الجديد بحلب

---

[148]() المقريزي، الخطط، ٣٧٩ ؛ سلام، الأدب، 122.

[149]() القلقشندي، صبح، 3/ 416 ؛ سليم، عصر، 56-75.

[150]() المقريزي، السلوك، ٣/ ٥٨٨ ؛ ابن حجر، الدرر، ١/ 328-329 ؛ سليم، عصر، ٣/ ٥٧.

[151]() ابن العماد، شذرات، 7/ 324.

[152]() ابن العماد، شذرات، 7/ 99.

[153]() السخاوي، الضوء، ٣ /٣١٢- ٣١٤.

[154]() عيسى، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، سنن الترمذي. تحقيق: احمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٩٧٤م)، من ٢٠٦.

[155]() ابن جبير، رحلة، ص201 ؛ زيادة، دمشق، ص123..

[156]() عيسى، تاريخ، ص٢٠٣.

[157]() طرخان، ابراهيم علي، النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ،المكتبة العربية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة : ١٩٦٨م)، ص٢٨٢.

[158]() غوانمة، الحياة ، ص٨٤.

الذي أسسه ناظر الجيش محمد بن فضل الله القبطي سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣١م)[159]، وأضاف عليه إضافات الأمير ارغون الكاملي (ت: ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م)، وأشهر من عمل به هاشم بن محمود بن ناصر الدين السروجي الحسيني رئيس الأطباء بالمارستان المذكور حتى وفاته سنة (٩٦٤هـ / ١٥٥٦م)[160]، وبعد وفاته لم تسمع أية اخبار عن هذا المارستان.[161]

٣- بيمارستان حماه

شيده نور الدين محمود سنة (٥٥٠هـ /١١٥٥م) وقد ذكره ابن جبير في رحلته إلى مدينة حماة سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، وذكر ان بها مارستان استمر يقدِّم خدماته الطبية والعلاجية في العصر المملوكي .[162]

٤- بيمارستان القدس

أوجده القائد صلاح الدين حين أمر بأن تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاشبتيار بقرب حماه مارستان للمرضى[163]، وقد استمر هذا المارستان بتقديم الخدمة الطبية والعلاجية في العصر المملوكي حتى تهدم نتيجة الزلزال الذي حدث في تلك المنطقة سنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م).[164]

٥- بيمارستان صفد

عمره الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقد أوقف عليه أوقافًا مهمة واستمر في الخدمة الطبية والعلاجية في العصر المملوكي.[165]

6- المارستان المنصوري

بناه السلطان المنصور قلاوون ما بين القصرين، حيث بنى جامعًا ومدرسة (المدرسة المنصورية)[166]، ودام البناء فيه أحد عشر شهرًا وأيام، وتم البناء فيه حوالي سنة (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م)، وذكر أن السبب في بنائه أن المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزو الروم في أيام الظاهر بيبرس سنة (٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) أصيب بدمشق فعالجه الأطباء بأدوية اخذت من مارستان نور الدين بن زنكي، فبرأ قلاوون وركب فرسه حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر أن أتاه الله الملك ان يبني مارستاناً[167]، وقد مدح هذه العبارة الشاعر البوصيري (ت: ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) فقال:

ومدرسةٌ ودَّ الخورنقُ أنه لديها حظيرٌ والسديرُ غديرُ

مدينةُ علمٍ والمدارسُ حولها قُرىً أو نجومٌ بدرهنَّ منيرُ

تبدَّتْ فأخفى الظَّاهريةَ نورها وليسَ بِظُهْرٍ للنُّجُومِ ظُهُورُ

بِناءٌ كَأَنَّ النَّحْلَ هَنْدَسَ شَكْلَهُ وَلانَتْ لهُ كالشَّمْعِ منه صُخُورُ

بناها سعيدٌ في بقاعٍ سعيدةٍ بها سَعِدَتْ قَبْلَ المَدارسِ دُورُ

إذا قامَ يَدْعُو الله فيها مؤَذِّنٌ فما هو إلا للنجومِ سميرُ

وكان هذا البيمارستان ينقسم على عدة أقسام منها:

---

[159]() ابن الوردي، زين الدين عمر، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، (النجف : ١٩٦٩م)، ٢/ ٣١٠.

[160]() عيسى، تاريخ، ص ٢٢٩ ،٢٥٢، ٢٥٣.

[161]() ابن الوردي، تاريخ، ٢ /٣١٠ .

[162]() عيسى، تاريخ، ، من ٢٣٠ ؛ علي ، محمد كرد، خطط الشام ، دار العلم للملايين ، (بيروت : د،ت)، ص166.

[163]() عيسى، تاريخ، ص230-231.

[164]() عيسى، تاريخ، ص231.

[165]() عيسى، تاريخ ، ص ٢٣٤.

[166]() المدرسة المنصورية تقع بين القصرين بالقرب من الجامع والمارستان المنصوري، بناها الملك المنصور قلاوون ، للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط ، ٢/ ٣٧٩ - ٣٨١،

[167]() المقريزي، الخطط ،٢ /٤٠٦ ؛عيسى ، تاريخ ، ص٩١،

قسم للحميات وآخر للرمد وآخر للجراحة وآخر للأمراض النسوية وغيرها، و جهز بصيدلية فيها انواع الادوية، وزود بما يحتاج إليه من أدوات واسرة وموظفين، وأسست به قاعة تلقى بها دروس الطب، وضمت اليه خزانة كتب قيمة[168]، ومن أشهر الأطباء المعالجين والمدرسين في الوقت نفسه، عماد الدين الدينسيري (ت : ٦٨٦هـ /١٢٨٧م)[169]، وعلاء الدين علي بن النفيس (ت: ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م).[170]

7- المارستان المؤيدي:

يقع هذا المارستان تجاه قلعة الجبل، وكان بالأصل مدرسة شيدها الأشرف شعبان ثم هدمها الناصر فرج بن برقوق، وأنشأ هذه المارستان المؤيد شيخ المحمودي في سنة (٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) ونزل فيه المرضى، وعملت مصارفه من جملة أوقاف جامع المؤيد.[171]

الخاتمة:

١- إن دراسة جودة التعليم بشكل علمي ودقيق واستعمال وسائل وأساليب حديثة تمكن العاملين في التعليم والصحة من تفهم أوضاع جديدة تتلاءم مع ظروف ومتطلبات عملهم، وتمكنهم من تحقيق أهدافهم بشكل متوازن ومتكامل على المستويات جميعها، وربط مفهوم التنمية المستدامة بواقع المؤسسات التعليمية والصحية في العصرين الأيوبي والمملوكي يقصد به إعادة التوازن إلى دور التعليمية والصحية كطريق أمثل في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وإن تجويد التعليم يكمن في تطوير الخدمات والمخرجات مع تخفيض في التكاليف والجهد لتحسين الخدمة؛ فهو الطريق الأمثل لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

٢- تختبر المؤسسات التعليمية والصحية في العصرين الأيوبي والمملوكي تطوير عمل مهني يحتاج لتضافر فئات مختلفة لها آثار فعالة في عملية التعليم.

3- على الرغم من حالة الصراع السياسي والعسكري التي تميزت بها الدولة الأيوبية في بلاد الشام ومصر منذ الأيام الأولى لقيامها على الصعيدين الداخلي والخارجي إلَّا أن عجلة التقدم الحضاري في بلاد الشام ومصر لم تتوقف بل زادت توهجًا وعطاءً؛ فكانت مصر مركز التحول في هذا العصر بكل الجوانب الحضارية بعد سقوط دولة، وقيام دولة جديدة على خلاف معها العقيدة والنظم، والثقافة مع دولة الأيوبيين معها من مؤثرات شامية إلى مصر.

٤- تأخر ظهور المدارس إلى أوائل القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي؛ لأنها كانت في ذلك الوقت خاضعة لحكم الفاطميين.

٥- إن الانتشار الحقيقي للمدارس بوصفها ظاهرة جديدة تمت على أيدي الأيوبيين، وقد ظهرت تلك السياسة منذ تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة للعاضد سنة (٥٦٥هـ / ١١٦٩)؛ فقد أنشأ ولأول مرة في حاضرة ملكهم مدرستين إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية، ثم انتشرت المدارس في دمشق وحلب

٦ – ساهمت البيمارستانات في تحسين الصحة العامة عبر توفير الخدمات الصحية والطبية الأساسية؛ إذ إن كثرة الأمراض في تلك العصور ادت إلى الحاجة الشديدة لعدد كبير من الأطباء وبناء المنشآت الطبية والعلاجية لعلاج المرضى الراقدين فيها التي كانت جزءًا من جهود التنمية المستدامة لتوفير الرعاية الطبية والصحية، وتوفير الخدمات العلاجية باستدامة بقاء هذه المؤسسات الصحية لتوفير العلاج لجميع المرضى في مصر، وبلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.

References:

First: Primary Sources:

1. Ibn al-Athir: Izz al-Din Ali ibn Muhammad ibn Muhammad Abd al-Karim (d. 630 AH/1232 CE). Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History)، edited by Johannes Tor Bennerg، Dar Sader (Beirut: 1996).
2. Ibn al-Ukhuwwah، Muhammad ibn Muhammad ibn Hamd ibn Abi Zayd al-Qurashi. Ma'alim al-Qaryah fi Talab al-Hisbah (Landmarks of the Village in Seeking Accountability)، Dar al-Funun (Cambridge، n.d.).

[168]() سليم ، عصر، 7/ 238.
[169]() ابن ابي اصبيعة ، عيون الأنباء، ص ٧٦١ .
[170]() الجبوري ، الحياة ، ص ٢٠٦ .
[171]() القلقشندي ، صبح ، ١ / 537.

3. Al-Asnawi، Jamal al-Din Abd al-Rahim (d. 772 AH/1373 CE). Tabaqat al-Shafi'iyyah (The Classes of the Shafi'i Scholars)، edited by Abdullah al-Jaburi، Matba'at al-Irshad (Baghdad: 1970 CE).
4. Ibn Abi Usaybi'ah، Muwaffaq al-Din ibn Abi al-Abbas Ahmad ibn al-Qasim. Uyun al-Anba' fi Tabaqat al-Atibba' (Sources of Information on the Classes of Physicians)، Dar Maktabat al-Hayat (Beirut، n.d.).
5. Ibn Battuta، Muhammad ibn Ibrahim. Rihlat Ibn Battuta (The Travels of Ibn Battuta)، Dar Sader (Beirut: 1964 CE). 6- Al-Baghdadi، Muwaffaq al-Din ibn Yusuf ibn Muhammad ibn Ali ibn Abi Sa'id، The Travels of Abd al-Latif al-Baghdadi، Egyptian General Authority: Egyptian (Egypt، 1998).
6. Ibn Jubayr، Ibn al-Hasan Muhammad ibn Ahmad al-Andalusi، The Travels of Ibn Jubayr، known as *Al-Ma'rufa wa-I'tibar al-Nasik fi Dhikr al-Athar wa-al-Manasik*، Dar al-Kutub al-'Ilmiyya، (Beirut، 2003).
7. Ibn al-Hajj Abu Abd Allah Muhammad ibn Sa'id (d. 737 AH/1336 CE). *Al-Madkhal*، Dar al-Fikr، (Beirut: n.d.).
8. Ibn Hajar، Shihab al-Din Ahmad، *Al-Durar al-Kaminah fi A'yan al-Mi'ah al-Thaminah*، edited by Muhammad Sayyid Jad al-Haq، Dar al-Kutub al-Haditha، (Cairo: 1966).
9. Al-Hamawi، Abu Abd Allah Shihab al-Din Yaqut (d. 626 AH/1228 CE)، *Mu'jam al-Buldan*، Dar Sader، (Beirut: 1977 CE). 11- Al-Hanbali، Abu al-Barakat Izz al-Din Ahmad ibn Ibrahim (d. 876 AH/1471 CE)، *Shifa' al-Qulub fi Manaqib Bani Ayyub*، edited by Nazim Rashid، Dar al-Hurriya (Baghdad: 1979).
10. Al-Dhahabi، Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman (d. 748 AH/1347 CE)، *Siyar A'lam al-Nubala'*، edited by Mustafa Abd al-Qadir Atta، Dar al-Kutub al-Ilmiyya (Beirut: 2004).
11. Sibt Ibn al-Jawzi، Shams al-Din Yusuf (d. 654 AH/1256 CE)، *Mir'at al-Zaman fi Tarikh al-A'yan*، Ottoman Encyclopedia (Hyderabad: 1951).
12. Al-Subki، Taj al-Din Abd al-Wahhab ibn Ali (d. 771 AH/1369 CE)، *Mu'id al-Ni'am wa Mubid al-Niqam*، 2nd ed.، Dar al-Hadatha (Beirut: 1985). 15- Al-Sakhawi، Shams al-Din Muhammad، Al-Daw' al-Lami' li-Ahl al-Qarn al-Tasi' (The Shining Light for the People of the Ninth Century)، Dar Maktabat al-Hayat Publications (Beirut، n.d.).
13. Ibn Shahin، Ghars al-Din Khalil، Zubdat Kashf al-Mamalik wa Bayan al-Turuq al-Masalik (Paris، 1984).
14. Ibn Shaddad، Baha' al-Din Yusuf (d. 632 AH/1239 CE)، Al-Nawadir al-Sultaniyya، Al-Mahasin al-Yusufiyya، edited by Jamal al-Din al-Shayyal، Al-Mu'assasa al-Misriyya al-'Amma (Cairo، 1964 CE).
15. Al-Safadi، Salah al-Din Khalil ibn Abik (d. 764 AH/1362 CE)، Al-Wafi bi'l-Wafayat (The Complete Book of Deaths)، edited by Ahmad al-Arna'ut Turki، Mustafa، Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi (Beirut، 2000 CE). 19- Ibn al-Adim، Kamal al-Din Umar ibn Ahmad ibn Hibat Allah (d. 665 AH/1261 CE)، Bughyat al-Talab fi Tarikh Halab (The Desire of the Seeker in the History of Aleppo)، edited by Suhayl Dhaka، Dar al-Fikr (Beirut: n.d.).
16. Ibn Asakir، Ali ibn al-Hasan ibn Hibat Allah (d. 499 AH/571 CE)، Tarikh Dimashq (History of Damascus)، edited by Amr ibn Gharama al-Amuri، Dar al-Fikr for Printing، Publishing and Distribution (Damascus: 1955 CE).
17. Al-Umari، Ahmad ibn Yahya ibn Fadl Allah al-Qurashi، Al-Ta'rif bi'l-Mustalah al-Sharif (An Introduction to the Noble Terminology)، Dar al-Kutub al-Ilmiyya (Beirut، 1988 CE).

18. Ibn Kathir، Abu al-Fida' Ismail ibn Umar (d. 774 AH/1372 CE)، Al-Bidaya wa'l-Nihaya fi'l-Tarikh al-Islami (The Beginning and the End in Islamic History)، Dar al-Fikr (Beirut: 1982 CE).
19. Al-Maqrizi، Taqi al-Din Ahmad ibn Ali (d. 845 AH/1441 CE)، *Al-Suluk li-Ma'rifat Dawa' al-Muluk* (The Path to Knowing the Medicine of Kings)، edited by Muhammad Mustafa Ziyada، Press of the Committee for Authorship، Translation، and Publication (Cairo: 1956 CE).
20. *Al-Mawa'iz wa-al-I'tibar bi-Dhikr al-Khitat wa-al-Athar al-Ma'rufa al-Khitat al-Maqriziyya* (Sermons and Lessons from Mentioning the Plans and Monuments Known as Al-Khitat al-Maqriziyya)، edited by Muhammad Zaynham، Al-Sharqa Press، Madbouli Library (Cairo، 1998 CE).
21. Al-Mundhiri، Zaki al-Din Abd al-Azim ibn Abd al-Qawi (d. 656 AH/1258 CE)، *Al-Takmilah li-Wafayat al-Nuqala* (Supplement to the Deaths of Transmitters)، edited by Bashar Awad، Al-Adab Press (Najaf، 1968).
22. Ibn Manzur، Abu al-Fadl Muhammad ibn Makki (d. 711 AH/1311 CE)، *Lisan al-Arab* (The Tongue of the Arabs)، edited by Abdullah Ali al-Kabir and others، Dar al-Ma'arif (Cairo: n.d.). 27- Al-Nabulsi، Fakhr al-Din Uthman ibn Ibrahim (d. 632 AH/1234 CE). *Tarikh al-Ghayoum wa Biladiha* (History of Clouds and Their Lands)، Dar al-Jil، (Beirut: 1974 CE).
23. Al-Nu'aymi، Abu al-Muzaffar Abd al-Qadir ibn Muhammad (d. 927 AH/1520 CE). *Ladaris fi Tarikh al-Madaris* (A Student of the History of Schools)، edited by Ja'far al-Husayni، Maktabat al-Thaqafa al-Diniyya (Cairo: 2006 CE).
24. Ibn Wasil، Jamal al-Din Muhammad ibn Salim (d. 697 AH/1297 CE). *Mufarrij al-Kurub fi Akhbar Bani Ayyub* (Relief from Distress in the History of the Ayyubids)، edited by Jamal al-Din al-Shayyal، Fuad I University Press (Cairo: 1953 CE).
25. Ibn al-Wardi، Zayn al-Din Umar. *Tatimmat al-Mukhtasar fi Ikhtibar al-Bashar* (Beirut، 1970 CE).

Second: References:

26. Ibrahim Khalida Salman، Social Life in Egypt during the Ayyubid Era، Dar Maktabat al-Basair (Lebanon، 2013).
27. Pasha Hassan، Islamic Titles in History and Exciting Documents، Al-Dar al-Fanniya for Publishing (Cairo، 1989).
28. Bahgat Mona Muhammad Badr Muhammad، The Impact of Seljuk Civilization in the Eastern Islamic World on the Ayyubid and Mamluk Civilizations in Egypt، Zahraa al-Sharq Library (Cairo، 2002).
29. Hamada Muhammad Maher، Political and Administrative Documents of the Fatimid، Atabeg، and Ayyubid Periods، Al-Risala Foundation (Beirut، 1977).
30. Khader Mahdi Qader، Security in Egypt during the Ayyubid Era، Rozhlat Press (Erbil، 2011).
31. Khafaji، Ahmed Abdel Hamid، Aspects of Social Life in Egypt during the Ayyubid Era، Dar al-Rashad for Printing and Publishing، Alexandria، 1981. 37. Rashad، Abd al-Mun'im، The Arabs and the Islamic Republics of Central Asia (Baghdad، 1996).
32. Ziyada، Muhammad Mustafa، et al.، A History of Egyptian Civilization (Cairo، n.d.).
33. Abu Zayd، Siham Mustafa، The Hisba in Islamic Egypt from the Arab Conquest to the End of the Mamluk Era، Egyptian General Authority.
34. Salam، Muhammad Zaghlul، Literature in the Ayyubid Era، Dar al-Ma'arif (Cairo، 1968).
35. Sayyid al-Ahl، Abd al-Aziz، The Days of Saladin، Supreme Council for Islamic Affairs (Cairo، 1964).

36. Shamsiati، Hassan، Damascus Schools in the Ayyubid Era، 1st ed.، Dar al-Afaq al-Jadida (Beirut، 1983).
37. Shir، Adi، Persian and Arabized Words، Dar al-Arab (Cairo، 1988). 44. Taqush، Muhammad Suhayl، *History of the Ayyubids in Egypt، the Levant، and the Jazira Region*، 2nd ed.، Dar al-Nafais، (Beirut: 2008).
38. Atiyya Allah، Ahmad، *The Islamic Dictionary* (Cairo، 1966).
39. Isa Bek، Ahmad، *History of Hospitals in Islam*، al-Hashimiyya Press، (Damascus، 1939).
40. Fayid، Ashur Hammad، *Political Relations between the Mamluks and the Mongols in the Mamluk State* (Cairo، 1974).
41. Muhammad Kurd Ali Muhammad Abd al-Razzaq ibn Muhammad (d. 1372 AH/1952 CE)، *Plans of the Levant*، al-Nuri Library، (Damascus: 1983).
42. Ma'ruf، Naji، *The Emergence of Independent Schools in Islam*، al-Azhar Press، (Baghdad: 1966).

Third: Theses and Dissertations

43. Khalaf، Ghanem Abdullah، Intellectual Life in the Levant during the Ayyubid Era، PhD dissertation (unpublished). (University of Mosul، College of Arts: 1995).
44. Salam Ayman Shaheen، Islamic Schools in Egypt during the Ayyubid Era and Their Role in Spreading Sunni Islam، PhD dissertation (published). (Tanta University، College of Arts، 1990).
45. Al-Ta'i، Saja Mish'al Rashid، Ayyubid Women and Their Civilizational Role in the Levant، Master's thesis (published): (University of Mosul، College of Arts). 2010.
46. Abdul Rahman، Khalid Suleiman Hamad Bani، The Administration of the Levant in the Ayyubid Era، PhD dissertation (unpublished). (University of Jordan، College of Graduate Studies)، 1970.
47. Al-Masri، Jihad، Education in the Levant during the Ayyubid Era، Master's thesis (published). (University of Jordan، Amman: 1997).

Fourth: Periodicals and Research

48. Sultan، Sultan Jabr، The Efforts of Muslim Scholars in Supporting Civil Society Institutions in the Era of the Crusades (490-690 AH / 1096-1391 CE)، Adab Al-Rafidain Journal، Issue (40)، College of Arts، University of Mosul (2005).
49. Othman Mahmoud Abdul Sattar، The Islamic City، Al-Ma'rifah Journal، Kuwait، 1988 CE.
50. Falih Manahil Fakhr Al-Din، Education under the Mamluk State، Adab Al-Rafidain Journal، Issue (10)، Mosul، 1979.